

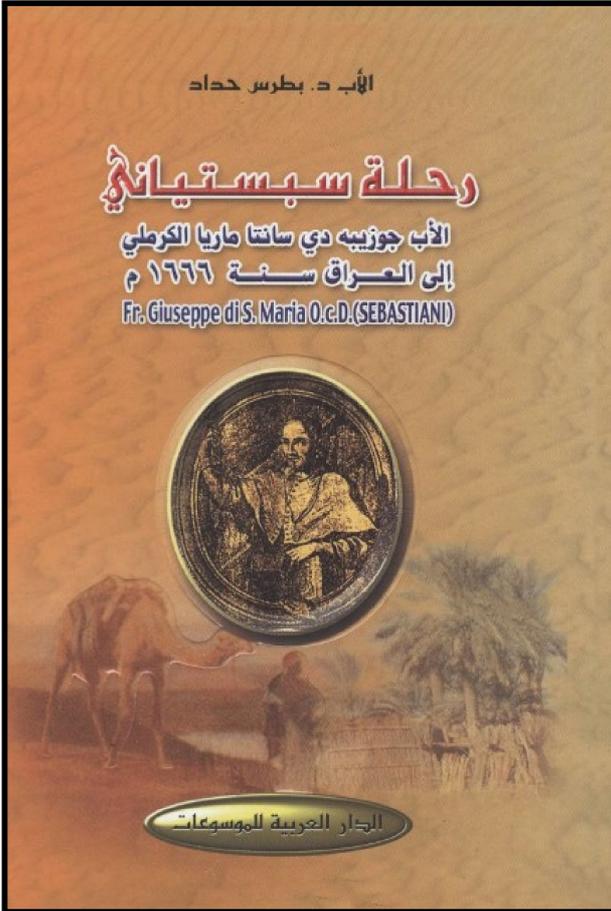
مقتطفات عن رحلة الياص الموصلية الاولى الى اوربا (١٦٥٨-١٦٦٠م) مقتبسة من كتاب رحلة الاب سبستيانى الكرملى الى العراق

عمر عبدالغفور القطان

ان اول من اشار الى رحلة سبستيانى وعلاقتها مع الرحالة الياص الموصلية كان المؤرخ العراقي يعقوب سركيس واستعان بمن ترجم له مقتطفات منها كما ذكر في عدة مواضع من كتابه مباحث عراقية بجزئه الاول اثناء حديثه عن الياص الموصلية واسرته، ثم كان الفضل بترجمتها بصورة ينتفع منها للأب الدكتور بطرس حداد الذي نقل الجزء المتعلق بالعراق منها وانا هنا احاول ان اكمل جهد المؤرخين بالاستفادة من النصوص الواردة فيها لتعريف القارئ على ما واجهه القس الياص الموصلية في رحلته الاولى الى روما سنة ١٦٥٦ ولكن هنا اوضح امرانه ما وصل اليه وصف طريق الذهاب من بغداد الى حلب ولم يصلنا وصف كيف انتقل الى روما وكيف كان طريق عودته من روما الى بغداد

سنة ١٦٦٠ الا انني متأكد بان رجلنا كان قد عاد قبل عودة سبستيانى مرة ثانية الى العراق في طريقه الى الهند سنة ١٦٦٠، وهنا اشير الى ان ذكر الياص الموصلية ورد في رحلة رفيق سبستيانى الاب فنشيسو الذي رافقه الى الهند سنة ١٦٥٦ وترجم القسم المتعلق بالعراق الاب الدكتور بطرس حداد ونشرها في مجلة مجمع اللغة السريانية، ثم نشر النص الموسع في مجلة المورد.

وهنا اعرف القارئ بالرحالة سبستيانى فهو الاب جوزيه دي سانتا ماريا الكرملية ولد في بلدة كابرارولا في ايطاليا في ٢١/شباط/١٦٢٣ وانخرط في السلك الرهباني لدى الاباء فغير اسمه، ارسل فترة من الزمن الى المانيا ثم عاد الى روما، انتدبته



إضاءات موصلية - العدد (١٠٢) / رجب ١٤٤٠هـ / آذار ٢٠١٩م

رئاسة الكنيسة للذهاب في مهمة رسمية الى الهند بصفة مفتش رسولي لدراسة احوال النصرارى في منطقة الملبار وهي ولاية كيرالا في الهند فذهب الى هناك مرتين الاولى ١٦٥٦ وعاد الى اوربا ١٦٥٨ والمرة الثانية سنة ١٦٦٠ وعاد الى روما ١٦٦٦ تولى مهام دينية في الجزر اليونانية حتى وفاته هناك ١٦٨٩/١١/١٥ ترك عدد من الكتب.

اهم الملاحظات التي وردت في رحلة سبستيانى ١- وجود الإرساليات المسيحية في العراق والمشرق العربي

فالإباء الكبوشيون قدموا الى بغداد نحو سنة ١٦٢٦^(١)، وقدم بعضهم الى الموصل نحو سنة ١٦٣٦ ثم اضطروا الى تركها^(٢) ثم عادوا الى الموصل سنة ١٦٦٢ - ١٦٦٤ كما ذكر الرحالة تيفنو الفرنسي وباروحوها نهائيا نحو سنة ١٧٢٥^(٣).

اما عن الاء الكرمليين الذين قدموا الى العراق وبالتحديد البصرة منذ سنة ١٦٢٣ يتقدمهم الاب باسليوس (البرتغالي) وسعوا في التبشير بين ابناء طائفة الصابئة اذ كانوا يعتبرونهم فرقة نصرانية ولذا كانوا يطلقون عليهم اسم نصرارى القديس يوحنا نسبة الى يوحنا المعمدان^(٤).

كما تواجدت لهم اديرة في المدن الرئيسية في المشرق والعراق كحلب وبغداد والموصل والبصرة، ففي الموصل مثلا كان لهم دير يقول الرحالة (...ذهبت انا والاب جيوفاني تاديو الى دير الاء الكبوشيين الذين قدموا الى هذه المدينة منذ فترة وجيزة، فمكثنا عندهم اربعة ايام، وقد احسن السيد سليمان ضيافتنا خلال هذه الفترة...)^(٥)، كذلك تحدث عن اديرة الكرمليين في العراق الموجودة منذ سنة ١٦٢٣ في البصرة وبغداد^(٦).

٢-رصد احوال مسيحيي كنيسة المشرق في العراق والشرق في منتصف القرن ١٧ م

قيامه بزيارة كنائس النصرارى في الموصل وبغداد والبصرة ونقل لنا اعدادهم في بعض المدن العراقية كبغداد والموصل فعلى سبيل المثال حين امضوا في الموصل عشرة ايام قاموا خلالها بزيارة كنائس النساطرة واليعاقبة يقول سبستيانى (...زرت في الموصل كنيسة لليعاقبة ويبلغ عددهم ٥٠٠ (نفس). وكان مطران الجماعة الكاثوليكية غائبا عن المدينة، فقد حدثت بينه وبين افراد ملته مناقشات، ترك على اثرها المدينة وذهب الى ماردين...)^(٧) كما تحدث عن واقع الجماعات الرئيسية المستهدفة من عملية التبشير في المشرق فيرصد احوال ابناء كنيسة المشرق فيتحدث عن (كنيسة النساطرة، وهي صغيرة جدا ويبلغ عدد النساطرة في الموصل نحو ١٠٠٠ نسمة. لكنهم يعدون بكثرة في الجبال القريبة من المدينة، اذ يبلغ عددهم هناك نحو اربعين الفا، يعيشون في مختلف القرى الجبلية، وبالامكان اعادتهم الى احضان الكنيسة المقدسة بجهود بعض المرسلين الغيورين، لكن ابليس اللعين استطاع، لسبب تافه لا يذكر، ان يبعد الاء الكبوشيين الذين كانوا في هذه المدينة من اجل تلك

الغاية...^(٨)، وتحدث عن الطقوس الدينية لإتباع كنيسة المشرق فيقول (ان الاكليروس والعلمانيين الانقياء يتناولون القربان بايديهم، ويشربون من الكأس ايضا، اما سائر المؤمنين، فانهم يتناولون القربان من يد القسيس، بعد ان يبلى الخبز بالخمير...ينتخبون اساقفتهم وبطاركتهم من بين الرهبان فقط، ويقوم البطريرك على اثر تعيينه من قبل سلفه بشرط ان يكون قد امتنع كلياً عن اكل اللحم. يعتبرون انفسهم كاثوليك فيطلقون هذه الكنية عليهم، ويلقبون انفسهم بالبابليين، ويقولون بانهم يؤمنون بكل ما علمه الحواريون...).

ثم يتحدث عن اوضاع التي يعيشها الناس في المشرق وتحديدًا النصارى (...يعيشون في جهل...)) ويتحدث عن تجربته الشخصية في المشاركة بالطقوس داخل الكنائس في العراق فيقول (...ناولت «القربان» الى نساء عديدات من اهل البلد، ولهن عادة التقرب وهن واقفات، اذ يعتبرون الوقوف علامة اكرام وتبجيل. لا حظت عادة اخرى عن الاتراك انهم يحيون باليد اليسرى^(٩)). يتحدث عن الرئاسة الدينية لكنيسة المشرق فيقول عن مقر الرئاسة الدينية (...لهم بطريرك يقيم في القوش Alcus بالقرب من الموصل...)^(١٠).

٣- دور اسرة الياس الموصلية في نشر الكتلحة بين ابناء كنيسة المشرق في العراق

ارتبطت اسرة الياس الموصلية بالارسلات التبشيرية التي كانت موجودة في بغداد والموصل والبصرة وحلب فعلى سبيل المثال كانت لهم علاقة وثيقة مع الرهبان الكبوشيين الذين اوصوا به عند سفرته الى الاولى الى روما كما سنلاحظ فيما بعد، ولم يرتبط الرهبان بعلاقة به بل بإخوته كذلك الذين نعرف منهم اثنان هما عبدالمسيح وعبدالله يقول سبستيانى (...دعانا الاخ الاصغر للقس الياس (الى داره في الموصل) وقدم لنا بعض المبردات، وكان هذا القسيس قد رحل معي في سفرتي السابقة من بغداد الى حلب، وقدمت له مساعدات جمة في روما (يقصد القس الياس الموصلية)، وقد اراد شقيق القسيس ان يذهب بنا الى مكان قريب في جبل الكردي يسمى القوش Icus (وطن النبي ناحوم المعروف باللقوشي Elcese)...يقصد زيارة البطريرك ابن عمه (ايليا يوحنا مروجين تولى رئاسة الكنيسة بين ١٦٦٠ - ١٧٠٠)، نظرا الى ان البطريرك السابق، وهو عمه، كان قد انتقل الى جوار ربه قبل مدة قصيرة، بعد ان طعن في السن، ومات وهو على ضلاله، وان كان القس الياس بعد رجوعه من روما قد اقتنعه بغلظه وحرصه على الخضوع للحبر الاعظم، لكن تحريضه كان بلا جدوى، فقد كان البطريرك يخاف من ان يتهم بانه افرنجي. وكان عمر البطريرك الجديد، ابن اخي البطريرك المتوفى، اربعة عشر عاما، وقد رسم قبل سنة اسقفا، وفي السنة السابقة لهذه كان قد سيم قسيسا، بعد ان امضى سنتين كراهب من اتباع القديس باسيلوس. فهكذا يكون مجرى الامور، حيثما

تقلد المراتب الكنسية بالوراثة في اسرة واحدة، او حيث تشوب الايمان القويم شوائب فتعكر صفاءه. تحدث عن دور هذه الاسرة المتحمسة لإقامة اتحاد مع الكنيسة الكاثوليكية والتي ترتبط بعلاقة قريى رئاسة كنيسة المشرق في القوش...^(١١).

(...وكان اخو القس الياس، واسمه عبد الله، يامل بان زيارتي للبطريرك ابن عمه، قد تحركه على تقديم الطاعة للجد الاعظم لكن وقتي كان محدودا...)^(١٢).

ويتحدث عن الاسباب التي منعته من زيارة البطريرك الشاب (...وكنت اترقب السفر في كل لحظة، لذلك رفضت السفر الى القوش، وفضلا عن ذلك فان الاب جيوفاني تاديو **Ctio** **Taddeo** كان طريح الفراش فلم يسعني ان اتركه...)

ثم يكمل فكانت (...سبب اخر في عدم سفره للقاء البطريرك...)^(١٣)

ولابد ان نشير الى نجاح جزئي حققته اسرة الياس الموصلية في تقرب وجهات النظر بين كنيسة المشرق والكنيسة الكاثوليكية في روما يقول مترجم الكتاب الاب بطرس حداد (...يظهر ان البطريرك الشاب مارايليا يوحنا مرجين حاول التقرب من البابا، ففي ٢٢ تشرين الثاني ١٦٦٩ وجه كتابا الى البابا كليمنس التاسع وقع هو وثلاثة من مطارنة طائفته، وقد ضم الكتاب بعض المطالب (...)^(١٤) ثم يتحدث عن النتيجة النهائية فيقول (...لكن البطريرك لم يعلن عن انتمائه الى الكنيسة الكاثوليكية...)^(١٥)

وصف بغداد باعتبارها احدى مركز ابناء كنيسة المشرق (نسطورية)... ولا يزال اتباعه الى يومنا هذا، ولو ان عددهم ليس كبيرا في هذه المدينة، لكنهم كثيرون في اطراف الموصل، اذ يبلغ عددهم هناك نحو اربعين الف...^(١٦) والذي اراه ان سبستيانى قد بالغ في ذكر اعداد اتباع كنيسة المشرق وكان هدفه تشجيع الكنيسة في روما على ارسال المبشرين الى هذه المنطقة لإدخال ابناء هذه الكنيسة ضمن رعايا الكنيسة والبابا.

٤- علاقة سبستيانى مع عدد من الشخصيات المسيحية في الموصل

ارتبط الرهبان الذين زاروا العراق والمشرق بعلاقات مع عدد من المواطنين الذين قدموا لهم يد العون في اداء مهامهم ومنهم سليمان البنا تاجر كاثوليكي من اهل الموصل من عائلة البنا ارجح انه سرياني التقى به سبستيانى في نابولي^(١٧) و سافر اكثر من مرة الى روما وتوفي في القدس الشريف في نهاية سنة ١٦٦٩^(١٨) بل واستفاد الرحالة من اقارب البنا يقول سبستيانى اقام عنده او اخر تموز واوائل آب (١٦٥٦) تركت الموصل (...كان المناخ حارا لا يحتمل ليلا ونهارا، فالخان عبارة عن بناء مغلق، وليس للغرفة نوافذ، ارسلت فاستدعيت بعض اقارب سليمان وابنه، اما سليمان هذا فقد كان

احد مرافقي الاب برنارد ديستل (Diestel P. Bernardo) واستفسرت منهم عن الرجل، فاجابوني ان اخباره قد انقطعت عنهم، فساورني القلق بخصوصه وخفت عليه، اذ كان من المفروض ان يصل الى المدينة قبلي، نظرا لكوني مكثت في مالطة وحلب نحو ثلاثة اشهر...^(١٩).

ثم يعود لذكره في رحلته الثانية اثناء مكوثهم في الموصل في انتظار سفرهم الى بغداد (...نزلنا في احد خانات المدينة، وخلال المدة التي قضيناها في ام الربيعين، زارنا اكثر من مرة سليمان البنا فاكرم وفادتنا، اما سليمان فهو ذاك الرجل الذي رافقني من نابولي الى مسينة في رحلتي الاولى، وقد دعانا احيانا لتناول الطعام على مائدته. وقد طلبنا منه ان يستعلم عن الاكلاك النازلة الى بغداد في نهر دجلة، لاننا اردنا السفر باسرع وقت ممكن الى البصرة قبل انحسار المياه...)^(٢٠)

وفي تشرين الاول (١٦٦٠) يعود لذكر البنا بقوله (...وفي هذه الاثناء تدهورت حالة الاب جيوفاني تاديو الصحية، ورأيته عاجزا عن السفر، فنصحته بالبقاء مع احد رفاق السفر في بيت سليمان للمعالجة، واعطيته كمية كافية من المال، على امل تحسن حالته، فيتبعني من ثم الى الهند لكنه الح على السفر معنا. في العاشر من ركبنا الرمث، وكان محملا بالكبريت ومكتظا بالمسافرين...)^(٢١).

وعن كونه سرياني استنتجت ذلك من قوله (...الثالث عشر نصبنا الخيام قرب سور الموصل. وكنا قد مررنا في طريقنا بتكريت والتقينا هناك باحد اقرباء سليمان البنا - الذي مر ذكره - فاكرم الرجل وفادتنا ... ومن تكريت اكملنا سيرنا الى هذه المدينة مع اميرها (اعني شيخ او امير تكريت) الذي كان في طريقه لاستقبال والي بغداد الجديد (اوزون ابراهيم باشا (ابراهيم باشا الطويل)...)^(٢٢).

وكذلك ذكر شخصية نعمة الله الموصلية (... كان معنا رجل موصلية اسمه نعمة الله، وكان يهتم بامورنا ويحافظ على امتعتنا، وعندما نركن الى النوم كان يضع الامتعة تحته خوفا عليها، لكنه تركنا في هذه البقعة وسار الى منطقة قريبة يسكنها الاكراد...)^(٢٣).

القسم الاول

مقتطفات عن رحلة الياس الموصلية الاولى من بغداد الى روما ١٦٥٨-١٦٦٠

من نص رحلة الارشالية سبستيانى الاولى الى الهند بين ١٦٥٦-١٦٦٠

سبب الخروج من العراق

(...ان هذه الاحوال المضطربة حملتني على ترك طريق ما بين النهرين والسير في طريق الصحراء مع دليل وبرفقة جنود وخادمين اثنين، بصحبة القس الياس، الذي كان نسطوريا فتكثلك، وهو ابن اخي بطريك تلك الطائفة...)

لقاء اسرة القس الياس الموصلية في بغداد

يتحدث الرحالة عن سبب الذي يقف وراء رغبة الموصلية وعائلته بزيارة روما (...اخبرني القسيس انه يقصد السفر الى روما للتبرك، ولاجل امور خاصة به...)، ويبدو انه تعرف على اغلب افراد عائلة القس الياس الموصلية فهو يقول (...وقد اوصتني عليه امه بدموع غزيرة...) (كما اوصانا عليه اخوته...) ثم يتضح لنا من نصه او على الاقل ساعده في الاعداد للرحلة فالرحالة يقول (...كما اوصانا عليه اخوته والاباء والكبوشيون...) (٢٤).

الاستعداد للسفر من بغداد الى حلب

يتحدث عن الرحلة حيث كان اغلب تلك الرحلات تتم عن طريق استئجار دليل وهو في هذه الرحلة رجل من اهل عانة اضافة الى جنود انكشاريين ومترجم وشراء الخيول التي سيركبوها وتحمل اغراضهم اضافة الى انضمامهم الى قافلة التي تتوجه الى المكان المقصود السفر اليه، نعود الى النص الذي يقول فيه (...اتخذنا لنا دليلا يعرف الطريق، ندفع له ثلاثة وثلاثين قرشا، ثم اشترينا الخيول وأعدنا ضروريات الطريق، وقبل ان نبدأ السفر انتشر خبر مفاده، ان الباشا امر بالقبض على الافرنج القادمين من حلب، فتخوف (الشاطر) اعني الدليل وعدل عن السفر، فوجدنا دليلا ثانيا، ندفع له اربعين قرشا، وهذا بدوره غير فكره وامتنع عن السفر. فاضطررنا إلى الانتظار ريثما يصل الافرنج مع القافلة القادمة، فما ان دخلوا بغداد حتى تم القاء القبض عليهم وزجوا في اسطبل احد الاغوات الكبار. حتى يفهم القارئ الكريم السبب في سجن هؤلاء الافرنج هي الرسائل المتبادلة التي كانت تتم نقلها بين حكام دولة البندقية وحكام الدولة الايرانية التي تعتقد السلطات العثمانية ان هدفها هو التخطيط للاعتداء على حدود الدولة العثمانية...). (...كان هؤلاء الافرنج الماركيز درفيل Dereville، ورفيقه المدعو ميركانتي Merchanti وكانوا يقولون انهم في طريقهم الى الهند عن طريق البصرة، ولم يكن معهم من المال الا اليسير، اضافة الى ساعة، يقدر ثمنها بثمانين قرشا، وبعض الاسلحة ومجموعة من الرسائل. فصادرت السلطة هذه الاشياء كلها للحال، لكن هؤلاء كانوا اوسع حيلة وابتعد نظرا اذ كانوا يتوقعون هذه الاحداث، لذلك كانوا قد وضعوا الاغراض المهمة والثمينة امانة عند بعض الارمن الذين كانوا معهم في القافلة، وقد قدم هؤلاء - الارمن - شهادة حسنة بحق الافرنج اثناء الاستجواب. ارسل الوالي في طلب رئيس الالباء الكبوشيين وامره ان يترجم بكل امانة تلك الرسائل المصادرة الى اللغة التركية، كما امر ان يحضر معه مملوكه الفرنسي عمر. فتعاونوا لتكميل ارادة الباشا، لكنهما اتفقا على ان يغضوا النظر عن كل ما في الرسائل من امور قد تثير الشكوك، ولم يكن في بغداد غيرهما من يتقن اللغة الفرنسية، لكن الوالي كان قد عرف بان أحد الافرنج هو سفير البندقية الى شاه ايران جاء بمهمة خاصة وهي ان يحثه على مهاجمة بغداد، لذلك قرر ان لا يطلق

سراحهم، بل وضعهم في مكان ارحب وانظف من الاسطبل! وسمح لعييده الافرنج بان يذهبوا لزيارتهم ويقدموا لهم المساعدة اثناء الطعام للاطلاع على اشياء كثيرة...^(٢٥).

مخاطر محتملة في طريق القوافل بين بغداد وحلب

اكمل النص عن الرحلة فعلى الرغم من انه لا يبدو ذا اهمية فهو يوضح خطورة الطريق والمخاطرة المحتملة اثناء السفر (...كان اثنان من الارمن، من اصدقاء الماركيز المذكور، قد هجم عليهما اعراب الصحراء، فضربوهما في الرأس وفي الساعد الايسر، بالرغم من انهما كانا في عداد افراد القافلة المؤلفة من اكثر من مئة مسافر، لذا كانا يقولان لنا، انكم ان سافرتما بطريق الصحراء فستلاقون حتفكم من كل بد، وهذا ما اكده سباهي الوالي، وهو فرنجي الاصل من مدينة تريفزو، الذي عاد من اطراف الموصل، وقد جرح جرحا مؤلما في كتفه اليمنى، وكان يردد انه متى ما تم اخضاع الاعراب، فمن الضروري التوجه لاختضاع التركمان الذي كانوا يتجولون في جهات حلب...).

ثم يعود سبستيانى للحديث عن اوضاعهم في الرحلة (...كان كارلو (خادمنا) سبب نفوق احسن خيولي ثم تمرض حصان آخر، واصبح كارلو واسكندر اكثر وقاحة مما كانا عليه من قبل. ولم نتمكن من العثور على دليل جديد، وحدث في تلك الايام ان قافلة بارحت بغداد متوجهة الى ايران، فما ان عبرت باب المدينة حتى هوجمت، وتبلبل افرادها شذر مذر، وكانت الخسارة نحو ٥٠٠٠ قرش اضافة الى موت بعض المسافرين! وقيل ان اللصوص هم من اتباع الوالي المقربين! (...).

في هذه الاثناء بدوا بالتفكير الجدي بالغاء سفرتهم او تأجيلها لوقت لاحق حيث يقول (...ان هذه الحوادث المتتالية حفزتنا على السفر باسرع ما يمكن في طريق الصحراء مهما كان الخطر فاجتمعنا للمشاورة، لكننا لم نصل الى قرار، واجمعت اراء الاكثرية على العودة الى البصرة، او الذهاب الى اصفهان، فنتظر اياما احسن وفرصا مواتية في السنة القادمة، او ان نرجع من جديد الى الهند. اخيرا، رأينا ان نقدم خدمة لله تعالى مع ما فيها من خطر على حياتنا، فقررنا ان نقوم بها...^(٢٦).

فبعد رفض دليلهم بحثوا عن شخص جديد قال (...فوجدنا دليلا يمكن الركون اليه، رغم افتقاره الى الخبرة الكافية في الطرق، قبل ان يرافقنا لقاء مكافأة قدرها اربعون قرشا، فاشترينا حصانا ليحل محل الحصان النافق، وكان الحصان الثاني المريض قد تعافى، فاستعدنا للسفر...)، هنا يتحدث عن نوع الطعام الذي سيتناولوه في طريق سفرهم وهو مهم (...كما اشترينا خبزا وزيبيا لاكلنا، ولم نأخذ الا الاغراض الضرورية، وتركنا بقية الامتعة امانة عند الباء الكبوشيين ليرسلوها مع اول قافلة تتجه الى حلب...).

يتحدث الرحالة عن حالته النفسية التي مر بها نتيجة لما واجهوه من صعوبات (...بعد اتخاذ هذا القرار، شعرت بالغم يهاجمني، كما ساورني شعور داخلي بقرب اجلي، فسيطر علي الارق، وفي الفترات القليلة التي كنت انام فيها، كانت الاحلام المزعجة تقضي على منامي، فكنت اراني مثخنا بالجراح في قلب الصحراء ومنازعا اودع الحياة!...).

كما انه يبين اهتمامه بالأشخاص الذين تم سجنهم في بغداد فقام بإرسال رسول اليهم للحصول منهم على رسالة للقنصل الفرنسي في حلب فيقول (...ارسلت عمر وبعض الخدم الاخرين الى درفيل (السجين الافرنجي) لا يحيطه علما بسفرنا، فطلب منا ان نخبر القنصل بيكيت في حلب بما حدث له، ليهتم بكل الطرق والوسائل من اجل اطلاق سبيله...).

وكنا قد اخذنا خادمين من المسيحيين المسيبين من دير الاباء الكرمليين في البصرة والذي قرر احدهم البقاء في بغداد فيقول

(...اما الخادم جاييلان فقد احب البقاء في خدمة الاباء الكبوشيين، فاخذنا عوضه شابا سوريا حلبي الاصل، لاننا اردنا ان يزداد عددنا، فاشترى الرجل حصانا...) ثم يوضح العدد النهائي الذي وصلوا له (...وهكذا صار عددنا تسعة انفار ...)

ثم يبدأ بتعدادهم (...اعني: الاب رفيقي وانا، الجنديان، الخادمان اسكندر وكارلو، القس الياس، الشاطر(اي الدليل) واسمه الحاج بركات (حاجي بركاتي **Agi Paracati** والشاب السوري...).

بداية الرحلة

(...تركنا بغداد في العاشر من تشرين الاول (١٦٥٨) قبل هبوط الظلام، بعد عشرين يوما من الاقامة فيها، فخرجنا من باب المدينة، ولم نلق اذية عند البوابة او عند عبورنا الجسر، نظرا لوجود شاب من بطانة الوالي اسمه مصطفى رافقنا الى الباب مع كاهنين كبوشيين، ولكن ما إن تركونا، حتى ركض في اثرنا عسكري انكشاري، لم يتجاسر على الكلام امام مودعينا، فطلب منا رسوما، فكان لا بد من ان نلبي طلبه، وكان كارلو يتبعنا عن بعد، فاقترب منه العسكري وطلب الرسوم، واذ لم يكن معنا عندما دفعناها، فقد اداها من جديد كاملة عن الجميع! (...)^(٢٧).

مخاطر الطريق

(...امتطينا خيولنا وسرنا طوال الليل، لكننا ضللنا الطريق، وتوغلنا في ارض سبخة، ثم التقينا برعاة ارشدونا الى الطريق الصحيح، وبقينا نسير تلك الليلة وفي اليوم التالي دون التوقف للاستراحة، وكنا نتجنب الدروب المطروقة، والاماكن المأهولة التي كنا نراها من بعيد، لتتوقى شر الاعراب فلا نعطيهم فرصة لمباغتتنا، فالمعروف عنهم، انهم ينتشرون في البادية، فاذا ما لمح احدهم

المسافرين او احدى القوافل، يسرع فيخبر جماعته، فيجتمعون للاجهاز على القافلة. وبعد ان سرنا في فيافي قاحلة لا نهاية لها، دخلنا في منطقة كلسية وعرة المسالك، لنبتعد عن قطاع الطرق، فقد نشعر بقربهم منا، بالرغم من عدم رؤيتنا لهم، وعندما اقتربنا من الفرات، توقفنا لنريح الخيول بعد تعب طويل، واعتدنا ان نستريح مرة واحدة كل اربع وعشرين ساعة فقط، لنأكل لقمة يابسة والتمر والزبيب، ولم نكن ننام الا نحو ساعتين من الزمن، تتناوب خلالها الحراسة ... ان الجنديين اللذين رافقانا كانا على طرفي نقيض في طباعهما، احدهما سريع الى الغضب، اما الاخر فمسكين، يفتقر الى الشخصية، يتذمر اكثر الوقت، تارة من السفر المضني وتارة من مرض خيالي يتصوره، وتارة اخرى من اخطار السفر، ولذلك كان يبكي احيانا، ويرمي نفسه على الارض فيتمرغ بالتراب ويطلب العودة، فكان يبتعد عن باقي المسافرين، رغم ما في الابتعاد عن الاخرين من اخطار، ولذلك كنا نحثه على السير، وكنا نهمز حصانه من وقت الى اخر ليسرع بالسير...^(٢٨).

(... اما الشاب السوري الذي اتخذناه خادما بناء على توصية الالباء، الكبوشيين، فقد ظهر المسكين ناقص العقل وغريب الاطوار، فنسي انه يرافقنا من اجل تقديم الخدمة لنا، وكان في صراع متواصل مع الدليل يطلب منه بالراح ان يخدمه!).

في اليوم الثالث من سفرنا فقدنا ما كان معنا من الماء، فعطشت الخيول، وعند المساء مررنا بالنهر، فشربت وأكملنا المسير، ومررنا بطريق خطيرة، فكنا نسير بصمت تام، فقد حرم الدليل علينا الكلام بل العطسة ايضا! وفي الصباح غلبنا نعاس ثقيل فسقطنا كلنا عن خيولنا، لذلك سمح لنا المرشد ان نستريح مدة ساعة ولما امتطينا الخيول عاد النعاس يداعب اجفاننا...^(٢٩).

الوصول الى عانة

(... وبعد مدة وصلنا الى عانة الواقعة على الفرات، وكان اليوم الرابع من سفرنا، بينما لو كنا في ركب قافلة كبيرة لما وصلنا الى هذه المدينة في اقل من عشرة ايام. كان الحاج بركات من اهل عانة، لذلك اخذنا الى بيته، وهناك تناولنا الطعام على الطريقة العربية وكان تمرا وسمنا، ودفعتنا رسوم المرور قرشين عن كل نفر اضافة الى ما دفعناه من قبل عند عبورنا النهر. ان دليلا قادما من حلب، اخذ يروي لنا عن كثرة اللصوص وانتشارهم في الطرقات، ففكرنا باصطحاب دليل اخر اكثر جرأة واوسع خبرة من مرشدنا. فوجدنا شابا اعرابيا مقداما، ثم قيل لنا انه خائن وهو على علاقة بقطاع الطرق، ومن جهتنا فاننا والحق يقال لم نركن اليه ولم نرتح، اذ كان يزورنا دائما ويجلس الينا، ويضرب على آلات الطرب بطريقة تثير الازعاج... مرت ايام ثلاثة ولم نعثر على ضالتنا ...

وكانت الخيول قد استراحت من تعب الطريق، فقررنا السفر، واذ كنا في وسط المدينة (وجدير بالذكر ان مدينة عانة طويلة جدا، وتقع بين التلول من جهة والنهر من الجهة الثانية)...^(٣٠).

اختيار دليل جديد في عانة لمرافقتهم الى حلب

(...تصدى لنا عربي متسريل بالسواد من اعلى كتفيه الى اخمص قدميه، وعلى راسه عمامة حمراء، وله مسدسان على حقويه، وخنجر كبير في وسطه، فقال لنا : الى اين انتم ذاهبون؟ اتسيرون الى الموت؟ الا تعلمون ان الطرق كلها مليئة باللصوص في ارجاء الصحراء؟ اني والله لولا مخافة ربي لتركتم تسيرون الى حتفكم، لانكم وايم الحق تستحقون الموت بسبب تهوركم، لكنني اشفق عليكم، اني من اتباع الافرنج، ولذا اريد ان ارافقكم وارشدكم في طرق سليمة، كما فعلت مع اخرين من قبلكم، واعطوني كما تترتاؤون. واذ كان الحاج بركات رعديدا، وقليل الخبرة في الطرق البعيدة، فقد ألح علينا كي نقبل الرجل، واكد انه يعرفه شخصا وانه جدير بالثقة. فاتفقنا على اثني عشر قرشا، فقادنا الرجل الى بيته، واحسن ضيافتنا، فلما حل الظلام عدنا الى الطريق كما اننا كنا نسير في النهار ايضا وتابعا السير في الليلة التالية...).

لقاء طوجي باشا قرب عانة^(٣١)

(...ثم علمنا اننا سنقرب من قافلة ميخائيل طوجي الذي كان عائدا من دمشق متوجها الى بغداد، كما كان يفعل كل سنة، فيمكث هناك الى نهاية كانون الثاني، فتمنينا ان نراه ولذلك اخذنا نصت في الليل الى وقع حوافر خيول قافلته، فعلمنا انه قريب، فذهبنا للقياء وتقديم احترامنا له. كان يسير في ركابه عدد كبير من الجنود، معهم طبول وبيارق خفاقة، وراية مقدسة محمولة على جمل. فلما اخبروه بقدمنا وتعرف علينا ضرب ركبته بيميناه قائلا، وا ويلاه، اذهبون الى نهايتكم؟ انه والله تهور فظيع! لقد رأينا اليوم بأمرنا ستين واحدا من قطاع الطرق يعبرون الفرات، فبينت له ضرورة السفر، كما قلت له ان ثقني بعناية الله عظيمة، عندئذ اطلق عيارا ناريا من بندقيته فاتي للحال ابنه «بولس اغا» وكان شابا له من العمر نحو ست عشرة سنة، فامرته ان يكتب لي جوازا، يبين فيه انني من اقاربه، او بالاحرى ابن اخيه، ويشهد انه قد ارسلني الى الباب العالي، لامور مهمة، يجب ان اجبها مع السلطان نفسه، ووقع عليها بختمه الخاص (وهو خاتمه الخاص). عندئذ اخبرته عن اعتقال الماركيز، وطلبت منه ان يسعى لاطلاق سراحه فوعدني خيرا، ثم اردف : على ان لا يكون ذاك الشخص الذي التقى به في دمشق فأتعبه كثيرا...^(٣٢)). ...وقد ادعى انه ذاهب الى ايران لامور خاصة به، وقد نصحه بالعدول عن السفر، ثم عاد اليه عشية سفره، واذ لم يلتق به في البيت، فقد كتب على جدار بيته (لا تكمل الطريق فسينفضح امرك)، ثم قال لي أمورا عديدة لا اتمكن من نشرها، وروى لنا عن جيش حسن باشا العظيم، وعن اعتقال سفير فرنسا في اسطنبول وعن احداث اخرى، انتشرت

فيما بعد في العالم كله ، وبعد ان ابدينا شكرنا الجزيل لحسن ملاقاته وكرم ضيافته ودعناه بسلام ، وقد اوصى بنا كثيرا الى المرشدين ، فعاودنا السفر وهو بدوره اكمل طريقه...).

الخروج من عانة باتجاه حلب في الطريق الموازي لنهر الفرات اتجاه الصحراء

(...وصلنا في منتصف النهار الى بعض الخيام ، فاذا بامارات الضعف والجبن تظهر على دليلنا الجديد ، ذاك الفارس المغوار ، واسمه رجب **Recepe** اذ قرر تركنا ! ولما ابتعدنا عن تلك الخيام ، رأينا خمسة اشخاص يركضون نحونا ، وقد اطلقوا لخيولهم العنان ، فتولانا الخوف ، وشككنا في امرهم ، لكننا فهمنا من احدهم انهم عبيد وقد وجدوا فرصة مؤاتية لاسترجاع حريتهم فهربوا ! ظهرت عن اليمين **Sciaras** وعن اليسار **Masciati** ثم **Zaban** وهي قرى صغيرة تقوم في وسط البطحاء. اما نحن فقد اهملنا طريق **Masuati** بالرغم من انه الدرب المسلوك عادة ، لكن الامان فيه قليل ، وسرنا في طريق تقودنا الى النهر ، وقد لمحنا عن بعد ظلال (رجال ؟) وللحال اطلق رجب الشجاع حصانه للريح دون ان ينبس ببنت شفة ، فلم نسر في اثره ... وعملنا بموجب خطة اقترحها علينا الحاج بركات ، اذ اكملنا السير بعد ان استعدنا للقتال ، وقررنا عدم الافتراق الواحد عن الاخر ، وفي حالة الهجوم ، علينا ان ننزل حالا الى الارض ، ونستغل الخيل كموانع للدفاع ، فتمسك اعنتها باليد اليسرى ، ونحارب باليمنى . وبينما كنا نضع هذه الخطة ، كنا نستحث الخيل ونبتعد شيئا فشيئا دون ان نظهر ضعفا ، فتلاشت الظلال عن نظرنا ، وابتعد الاعراب عنا ، وبعد سويعات رأينا ذاك الجندي المقدام (رجب) مخبئا بين الادغال فظهر للعيان ضعفه وبانت خيائه ، لكنه بدأ يدافع عن نفسه ملفقا الاكاذيب ، مدعيا بانه سبقنا ليجد اماكن حصينة ، وليطلع على عدد المهاجمين وجنسيهم (اي الى أي قبيلة ينتمون). وقد اخذ الخدم يضحكون ويستهزئون من الفارس العظيم ، فحاولنا جهدنا تهدئتهم ، خوفا من نشوب العراك فيما بينهم...)^(٣٣).

فطنة القس الياس الموصلبي

(...عند حلول المساء ، اقترح القس الياس ، انه ليس من باب الفطنة ان نعرض جواز السفر الذي زودني به ميخائيل طوبجي ، فالرجل مشهور ومعروف عند الجميع بانه نصراني ، وقد كتب في الجواز اني ابن اخيه ، وهكذا اعلن عن نصرانيتي ، وقد يستنتج قراؤه ان كل افراد القافلة نصارى ، فتكون العاقبة وخيمة ، وكان الدليلان من رأي القس الياس ، ثم اقترحوا ان يقال - عند الحاجة - بانني تتري مرسل باسم والي بغداد السلطان ، لقد قرروا كل ذلك دون علمي ، وعلى اثر قرارهم ، ذهب الجندي مرافقنا الى خيام غربية ليعلن عن قرب وصولنا ، ففرشوا الابسطة وصفوا الوسائد لتكسىء عليها ، واستقبلونا والحق يقال باحترام بالغ ، وبعد سويعات قدموا لنا خبزا مصنوعا من القمح كبير الحجم ، لكنه كان ملوثا بالفحم والرماد ، ووضعوا امامنا شاة مطبوخة في وعاء كبير من الطين. كنا في

حالة من الجوع لا توصف، وكان اليوم نهار السبت، فاردت الامتناع عن تناول الطعام، لكنني خفت ان يعطي صيامي مجالا للشك عند الاعراب، فطلبت منهم شيئا من اللبن، مدعيا بانني وزميلي الاخر نشعر بألم في المعدة، فاحضروا اللبن في الحال مع دهن حار، فاكلنا، وسمحت لمرافقينا المسيحيين ان يتناولوا اللحم...^(٣٤)...وعند شروق الشمس سافرنا من هناك...^(٣٥).

الوصول الى دير الزور... ظهور عدد من المشاكل

(...فوصلنا في اليوم التالي الى بلدة كبيرة يحيطها سور، اسمها الدير Der فذهبنا الى مضارب البدو... فاستقبلونا بحرارة، واجلسوني في صدر ديوانهم... واجتمع القوم بنا... وكان الجميع ينهضون وينحنون امامي كلما نهضت او هممت بالدخول الى احدى الغرف... ان بساطتهم تثير الاعجاب العميق. كاد هذا المجلس الطيب ان يتحول الى مأساة مريرة، عندما وصل رجال يهود، فاحذوا يتفحصوننا جيدا، ثم صرحوا باننا من الافرنجة، لكن الدليلين انكرا ذلك، اما الجندي فقد انتهب الفرصة لعله يجني ربحا دنيئا، فاقنع الحاج بركات وهكذا اعترفا بالحقيقة الى حارس الديوان، وانتشر الخبر بين الجالسين كانتشار النار في الهشيم، فاذا بشاب يرتدي جبة من الحرير الاطلس قام في وسط المجلس ويده هراوة غليظة، وقال انه شاهبندر البلدة، ولذا فهو يطالب بالرسوم (وبعد اخذ ورد) ارضيناهم بقرش عن كل واحد من المرافقين... ثم ما لبثت ان رأيتهم يتقاسمون المبلغ... تمرض احسن حصان كان عندنا، وكان متعبا وجريحا، ولما اردنا تبديل نعاله، طلبوا قرشا لكل مسمار... وكانت مؤونتنا قد نفذت... اما المملوكان فكانا في نقاش مستمر، وقد اراد كارلو التخلي عنا... وقد فحص احد الاشخاص الحبيرين بالخيول حصاننا المريض فقال ان السير السريع يفيد... وبعد ان اشترينا زادا لنا، وعلفا لحيواناتنا، وبعد ان هدأت الحال بين خدامنا، قررنا السفر، وقد تقدم رجل من اهل المنطقة ليرافقنا في السفر الى حلب، وكان مزودا بالسلاح، فبعد ان اتفق مع دليلنا، تركنا بلدة الدير في مساء اليوم الثالث من وصولنا...^(٣٦).

مغادرة دير الزور

(...فجبنا الفيا في طوال الليل، ولم نسترح الا في فترات قصيرة، حتى وصلنا الى منطقة هي اخطر المناطق في بلاد العرب كلها، وهناك كان خيالنا يصور لنا وجود اللصوص في كل خطوة ووراء كل اكمة! ... خلال اسفاري في آسيا، في طريق الذهاب وبطريق الاياب، لم تمطر السماء ابدا، وحدث في ذلك اليوم ان تلبدت السماء بالغيوم، وانهمر المطر علينا مدرارا ... فصرنا نسير في وسط الوحول، وفي منتصف النهار توقفنا...^(٣٧).

مواصلة الطريق باتجاه حلب

(...فصرنا نسير في وسط الوحول، وفي منتصف النهار توقفنا، قرب ابار عميقة الغور، كان ماؤها اجاجا، يشوبه طعم الكبريت، وفي اخر النهار، وجدنا بئرا ماؤها عذب. كثيرا ما كنا نسير في دروب مطروقة من القوافل، لذا اخذنا نهتم بمراقبة النجوم...وكننا بحاجة ماسة الى الماء...انقضى يوم اخر، وكنا نسير في الطريق المؤدي الى عين طيبة Taiba وهي موطن ابينا المعظم ايليا(٣٨)حسبما يؤكد بعض المؤرخين). فاقترح الجندي علي ان نتزود هناك بالطعام. ولكننا لم نتوقف لان تلك البقعة كانت مليئة باللصوص، ولان دراهمنا كانت قليلة، فاكملنا مسيرتنا...مضينا الى قرية سيبيلا Sibilla وهناك لحق بنا السوري دون حصان، واخبرنا قائلا بان حصانه لم يعد يتمكن من مواصلة السير، واستضافنا شيخ القرية معتقدا اننا تتر فاحسن وفادتنا، وارسل الشيخ رجاله ليحضروا حصان السوري، ثم سرنا من هناك، بعد ان ابقينا الحصان العليل عند الشيخ كي يعالجه، كما بقي عندهم اسكندر والشاب السوري كي يستريحا هما ايضا من تعب الطريق، على ان يلحقا قافلتنا متى ما تعافى الحصان ليكملنا طريقهما الى حلب...)^(٣٩).

الوصول الى مدينة حلب

(...وقد مررنا بقرى عديدة، وفي منتصف اليوم التالي باننا مدينة حلب من بعيد، فغمر قلوبنا فرح لا يوصف ورفعنا نشيد الشكر لله، واكملنا طريقنا الى باب المدينة فدخلناها مغتبطين.وعند وصولنا الى محلة الافرنج^(٤٠) سقط احد الجنود عن حصانه، وبقيت رجله متعلقة بالركاب، فجره الحصان بضعة امتار فوق ارض حجرية صلبة، وبالرغم من الحادث الخطر فقد قام الرجل سالما ولم تحدث له^(٤١)...كسور، فكانت معجزة من السماء! اما الحاج بركات فلما رأى نفسه قد وصل سالما الى حلب قرر ان يكمل نذرا كان قد قطعه على نفسه، وهو توزيع لحم كبش على الفقراء مع كمية من الرز، فاسرع ليكمل نذره...)^(٤٢).

مكوثنا في حلب واخبار متفرقة

(...ما ان بلغ خبر وصولنا الى الاب برونو Bruno^(٤٣)، حتى خف لاستقبالنا مع ليف الرهبان الاخرين، وخرجوا للقيانا الى ظاهر المدينة.وارسل القنصل الفرنسي بيكيت ممثلا عنه ليلغنا تحياته، وقد انتظرنا مجي الشاهبندر ليفحص امتعتنا، فتأخر قليلا، وعندما وصل، استغرب لقله اغراضنا وتفاهتها، وساورته الشكوك في أمرنا خاصة بعد ان علم اننا كنا في الهند، فاخذ يضغط علينا بمختلف الطرق...صباح اليوم الذي وصلنا فيه الى حلب، سافر ثلاثة كهنة من رهبانيتنا الكرملية مع اثنين كبوشيين الى ايران، برفقة قافلة متوجهة الى الموصل...مكثت انا ورفيقي الكرملية والخدام في حلب ننتظر اول سفينة تمر بميناء الاسكندرونة لنعود الى بلادنا...كان القنصل الفرنسي رجلا غيورا

هماما، مستعدا على الدوام لمدي العون الى الجميع من اجل خير النفوس (٤٤) وقد استطاع بطريقة او باخرى...^(٤٥).

تعين بطريك السريان الكاثوليك في حلب

(...اكتساب ثقة بطريك اليعاقبة، الذي، كان مستعدا لتلبية طلبات القنصل نظرا لافضاله عليه، ولما كان كرسي حلب الاسقفي لليعاقبة شاغرا، فقد انتهاز الفرصة وحث البطريك على تعيين اسقف وهو شخص اسمه اندراوس من طائفته نفسها (لكنه كان متشعبا بالتعليم الكاثوليكي نظرا لاحتكاكه بالاباء - الكرمليين وكان رجلا ورعا)، كما طلب من البطريك بان تجري رسامة اندراوس الاسقفية على يد بطريك الموارنة في جبل لبنان، لان اندراوس المذكور كان موجودا هناك. فوعد البطريك واعطى كلمته، معتقدا انه لن يكون لوعده انعكاسات او تأثير على المدى البعيد، وان باستطاعته ان يوقف المطران متى ما يشاء. لكن الاحداث اخذت تجري بسرعة لم يكن يتوقعها، فهرب من حلب بعد ان امر المؤمنين بان لا يستقبلوا المطران الجديد ابدا، وكان القنصل المذكور على علاقة طيبة بالباشا وقد سبق ان كسب عطفه، لذلك طلب منه ان يامر بعودة البطريك الهارب من ملجئه ويأمره بعد وصوله ان يكتب الى الشعب ليخرج امام المطران اندراوس، وحصل على كتاب (براءة) للمطران من الوالي^(٤٦)، وعلى كتاب اخر من الباب العالي...^(٤٧).

مغادرة حلب باتجاه الاسكندرونة

(...تركنا حلب الى الاسكندرونة في ٣ تشرين الثاني (١٦٥٨) بعد ان مكثنا في الفيحاء ثمانية ايام ... صعد معنا الى السفينة القس الياس، ولكن قبل ان تبحر السفينة ارسل القنصل الفرنسي في حلب في طلبه، ثم سافر فيما بعد على حسابه (حساب القنصل) الى مرسيلية...ومن هناك ذهب الى روما...^(٤٨).

الاجار من اسكندرونة الى البندقية

(...اقلعت السفينة من اسكندرونة في الثامن من تشرين الثاني...وفي الثاني عشر من كانون الاول وصلنا البندقية، فانتظرنا فترة في الميناء حتى تمكنت السفينة من الرسو... وفي الحادي والعشرين من الشهر نفسه ادخلونا المحجر الصحي القديم...وصلنا روما في ٢٢ من شباط (١٦٥٩) وهو اليوم ذاته الذي تركنا فيه المدينة الخالدة قبل ثلاث سنوات...وقد زرت قداسة البابا...وقدمت باسم المطران اندراوس خضوعه للسدة الرسولية...وقد وافق مجمع انتشار الايمان (بروبغندا) على رسامة المطران المذكور...وقرر ان يرسل له مساعدة سنوية...^(٤٩).

لقاء القس الياس الموصلّي البابا

(...اما القس الياس فكان من جملة الفقراء على مائدة قداسة البابا^(٥٠) يوم خميس الفصح^(٥١)، وقد تأثر جدا من المثال الصالح الذي اظهره نائب المسيح، وقال انه يريد ان يذيع هذا الخبر في وسط هراطقة

بلادهم جميعهم وينقله الى البطريرك عمه، وقد نال لآخيه عبد المسيح اركزيا قونيه كنيسة بغداد، وحظى ايضا بمعونة نقدية معتبرة الى بيته من المجمع المقدس المذكور...^(٥٢).

القسم الثاني

لقاء سبستيانى القس الياس الموصلى واخوته في العراق سنة ١٦٦٠ م بعد عودته من روما مقتبسة من نص رحلة سبستيانى الثانية الى الهند بين ١٦٦٠-١٦٦٦ م

ان اهم معلومة نفهمها من الكلام الذي سيأتي في مايلي ان الياس الموصلى عاد قبل سبستيانى الى العراق من رحلته الاولى الى اوربا وكيف توثقت علاقة سبستيانى مع القس الياس الموصلى واخوته. **السفر من روما الى بغداد ٧/شباط/١٦٦٠**

(... في ٧ شباط ١٦٦٠ وبعد ان ودعت جميع الاصدقاء في روما، اخذت طريق نابولي، من اجل العودة الى الشرق ثانية ... في اواخر تموز رست في ميناء هذه المدينة سفينة فرنسية اسمها سان بيترو كانت وجهتها طرابلس في لبنان ... فصعدنا عليها. وفي الحادي عشر من آب وصلنا طرابلس، فنزلنا الى البر في اليوم التالي...سافرنا الى حلب...وعندما وصلنا الى هذه المدينة استقبلنا القنصل بيكيت والاباء الرهبان...)^(٥٣).

السفر من بغداد الى البصرة ٢٥/تشرين الثاني/١٦٦٠

بعد وصوله من روما مرورا بطرابلس وحلب التقى سبستيانى القس الياس الموصلى في بغداد بعد عودته من روما قبله نفهم ذلك من سياق الكلام (...عند وصولي الى بغداد، رأيت على شاطئ النهر القس الياس، وكان يأتي كل يوم الى هناك منتظرا قدومي، فقد بلغه خبر سفري الى هذه الجهة، لقد ساعدني هو والاباء لاحصل على دانك يتوجه الى البصرة، وقد طلبنا جواز مرور من الوالي، ولكننا لم نأخذه، لان ريان الدانك قال ان لا ضرورة له، وانه مرخص لحمل الافرنج على قاربه الى اية جهة يسافرون. ولم نتمكن من الحصول على مترجم في بغداد ليسافر معنا...)^(٥٤).

العودة من الهند باتجاه روما مرورا بالبصرة وبغداد والموصل وحلب النصف الثاني من سنة ١٦٦٤ وعن التواريخ المهمة في طريق عودته انه ركب قارب باتجاه البصرة في حزيران ١٦٦٤ وأنهم وصلوا الى البصرة قادمين من الهند في ١٤/٧/١٦٦٤ حيث بقوا عدة ايام بعدها كان الانطلاق الى بغداد في ١٠/٩/١٦٦٤ فوصول الى مدينة الحى ١٩/٩/١٦٦٤ عن طريق نهر دجلة اعتقالهم في قرية العمارة واخذ مبالغ من المال كرسوم -هي ليست العمارة لانها تبعد عن بغداد ثلاثة ايام حيث ركبوا الخيول واتجهوا نحو بغداد عادين الى روما (...بعد ثلاثة ايام من وصولنا الى بغداد، تركتها مع رفاقي الاخرين، ولم ندفع رسوما عند باب المدينة، وذلك بفضل الصوباشي، لانه كان سخيا جدا في ما لا يخصه شخصيا، وقد غضب حراس الباب من جراء ذلك.توقفنا خلال الليل على بعد ثلاثة اميال من

المدينة. وكنا نعتقد ان عبد الله احد اخوة القس الياس يعرف الايطالية، كما قيل لنا، فخاب ظننا لانه عند الاختبار ظهر لي ان ما يحسنه منها لا يزيد عن كلمتين، فحزنت في اول الامر، لكننا اكملنا سيرنا، وكان يتعلم بعض الكلمات بحيث اخذ يساعدنا عند الحاجة...التقينا في الطريق بعدد كبير من الجنود الانكشاريين وهم في طريقهم الى اسطنبول ليلتحقوا بالجيش الذي كان يحارب هنغاريا (المجر) في اليوم الثالث عشر نصبنا الخيام قرب سور الموصل. وكنا قد مررنا في طريقنا بتكريت والتقينا هناك باحد اقرباء سليمان البنا - الذي مر ذكره - فاكرم الرجل وفادتنا...^(٥٥).

السفر من بغداد الى الموصل

(...سمعت عند وصولي الى بغداد، بان قافلة كبيرة تستعد للسفر الى حلب، وكان من جملة المسافرين فيها اخوان اثنان للقس الياس، الذي سبق ان ذكرته اكثر من مرة، فأريت الفرصة سانحة، نظرا لوجود من يرافقني، ولا سيما السرعة في السفر، لاني كنت اخاف من حلول موسم البرد والامطار...)^(٥٦).

الإقامة في الموصل في بيت التاجر سليمان البنا الموصلية

(...عند نزولنا الموصل كان يزورنا سليمان البنا فأكرم وفادتنا اما سليمان فهو ذاك الرجل الذي رافقني من نابولي الى مسينة في رحلتي الاولى وقد دعانا احيانا لتناول الطعام على مائدته وقد طلبنا منه ان يستعلم عن الاكلاك النازلة الى بغداد في نهر دجلة، امضوا في الموصل عشرة ايام زاروا خلالها كنائس النساطرة واليعاقبة...)^(٥٧).

الضيافة في بيت القس الياس الموصلية في الموصل

(...دعانا الاخ الاصغر للقس الياس الى داره (في الموصل) وقدم لنا بعض المبردات وكان هذا القسيس قد رحل معي في سفرتي السابقة من بغداد الى حلب وقدمت له مساعدات جمة في روما وقد اراد شقيق القسيس ان يذهب بنا الى مكان قريب في جبل الكردي يسمى القوش...)^(٥٨).

السفر الى حلب

(...لبث في الموصل عبد المسيح الاخ الكبير للقس الياس، بينما رافقنا اخوه الاصغر عبد الله، وقد اشار علينا ان نأخذ زقا من الخمر، فحملناه مخفيا في كيس وقد كان جزيلا الفائدة لنا، لاننا كنا نقاسي البرد الشديد اثناء الليل...رافقنا من بغداد اسقف ارمني، وقد تحدثت معه طويلا اثناء السفر، ودعوته احيانا الى تناول الطعام معنا...وقد تجاذبنا اطراف الحديث خاصة في المواضيع الدينية، ولاحظت فيه ميولا كاثوليكية، وكان قد قرر ان يترك ابرشيته ويلتجىء الى روما ... فطلب مني توصية بحقه عند القنصل الفرنسي في حلب ليسهل له الابحار...والتقيت ايضا بقسيس ارمني...له ميول الاسقف نفسها ... وقبل ان نفترق اطلعهما عبد الله على حقيقة امري بانني مطران فتملكهما العجب، واطهرا نحوي

مشاعر الاحترام والاكرام...تحدث عن قسيسين ارمني وكيف كان لهما ميول كاثوليكية ثم ان عبدالله اطلعهما على حقيقة امري باني مطران فتملكهما العجب واطهرا نحوي مشاعر الاحترام والإكرام ثم اتجهوا الى قوج حصار وصولا الى اورفا ثم الى حلب...^(٥٩).

الهوامش:

(١)رباط وثائق خطية، ج١/٥١٣. الرحلة، ص٢٤. راجع الملحق ٦ راجع الحاشية ٣، ص٢٧. بطرس نصري، ذخيرة الازهان، ج٢/١٩٥. وليس في سنة ١٦١٩ كما قال رزوق عيسى في مقاله كنائس النصارى في بغداد نشرة الاحد ٤/١٩٢٥ ص٦٧٥ و لاسنة ١٦٢٨ كما قال الكاتب نفسه في مقالته مدرسة الاباء الكبوشيون في بغداد نشرة الاحد ١٣/١٩٣٤ ص٤٠٧ - ٤٠٧٧ وقد ترك الاباء الكبوشيون عاصمة الرشيد سنة ١٧٠٢. الرحلة، ص١٢١.

(٢)نقل الاب بطرس حداد هذه المعلومات عن الاب الكريم منصور ليكونت الدومنيكي، نصري، ذخيرة الازهان، ج٢ ص١٩٦.

(٣)الرحلة، ص٢٤. الرحلة، ص١٢١.

(٤)الرحلة، ص٢٥.

(٥)الرحلة، ص١٠٩.

(٦)الرحلة، ص١٢٢.

(٧)الرحلة، ص٢٤.

(٨)الرحلة، ص٢٤.

(٩)الرحلة، ص٨٧.

(١٠)الرحلة، ص٦٢.

(١١)الرحلة، ص٨٧.

(١٢)الرحلة، ص٨٨.

(١٣)الرحلة، ص٨٨.

(١٤)راجع تيسران-سليمان صائغ، خلاصة تاريخ الكنيسة الكلدانية، ص١٢٣. ونجد نص الرسالة في كتاب الاباشموئيل جميل علاقة الكنيسة الكلدانية بالكرسي الرسولي باللاتينية. الرحلة، ص١٣١.

(١٥)الرحلة، ص١٣١. الملحق رقم ١٨ حاشية ٣، ص٨٨. (يقول الاب الدكتور بطرس حداد وتجد نص الرسالة في كتاب الاباشموئيل جميل: علاقة الكنيسة الكلدانية بالكرسي الرسولي (باللاتين))

Genuinae Relati one sinter Sedem Apostolicamet Assyrorum
.Orientaliumseu Chaldaeorum Ecclesiam. Roma 2091, p. 835.
٠٤٥.

(١٦)الرحلة، ص٦٢.

- (١٧) الرحلة، ص ١١ انظر الهامش ٢ - ٦ ص ٧٨.
- (١٨) الرحلة، ص ٢٤.
- (١٩) الرحلة، ص ٢٤. سليمان صائغ، تاريخ الموصل، ج ٣/٨٨.
- Fley Mossoul Chretienne P.136 ss.**
- (٢٠) الرحلة، ص ٨٧.
- (٢١) الرحلة، ص ٩٠.
- (٢٢) الرحلة، ص ١٠٨.
- (٢٣) الرحلة، ص ٨٤.
- (٢٤) الرحلة، ص ٦٤.
- (٢٥) الرحلة، ص ٦٤.
- (٢٦) الرحلة، ص ٦٥.
- (٢٧) الرحلة، ص ٦٦ راجع كذلك الفصل السابع عشر رحلة فنشنسو الى العراق في القرن السابع ص ٨٩. (...تركنا بغداد مساء اليوم العاشر من تشرين الاول ١٦٥٨ انا والاب جوزيه وقسيس نستوري غايته رومة مثلنا... عبرنا الفرات... واتينا الى عنة. وكان دليلنا عانيا فدعانا الى بيته... التقينا في الطريق بقافلة الطوبجي باشي كان القواص الخاص يتقدمها وعدد من الجنود يرفع احدهم علم السلطان استقبلنا مع ابنه (اسمه باولو اغا) واوقدوا نارا وامر بتقديم القهوة واخذنا تبادل اطراف الحديث فحثنا على الرجوع الى بغداد نظرا لما في الصحراء من اخطار... لكننا فضلنا السير الى حلب...)
- رحلة فنشنسو الى العراق في القرن السابع عشر ترجمها عن الايطالية وعلق عليها الاب الدكتور بطرس حداد مجلة المورد فصلية تصدر عن وزارة الثقافة العراقية العدد ٣ سنة ١٩٧٦ ص ٧١ - ٨٩ كذلك راجع رحلة فنشنسو الى العراق في القرن السابع عشر القسم الاول ترجمه الاب الدكتور بطرس حداد المنشورة في مجلة المجمع اللغة السرياني العدد الاول سنة ١٩٧٥ بغداد مطبعة المعارف ص ١٧٩ - ٢٠٣.
- (٢٨) الرحلة، ص ٦٧.
- (٢٩) الرحلة، ص ٦٨.
- (٣٠) الرحلة، ص ٦٨.
- (٣١) ذكر قول دي لاموت لاميرت ان ميخائيل طوبجي هذا يترك اراضيه الواقعة... في طرابلس ليذهب الى بغداد... ويكون سفره في ابعد الاوقات بعد ١٥ تشرين الاول.. وهذا يطابق قول صاحبنا الذي لاقاه في الطريق قبل ٢٣ تشرين الاول.
- (٣٢) الرحلة، ص ٦٩.
- (٣٣) الرحلة، ص ٧٠.

- (٣٤) ان قانون الرهبان الكرمليين القديم يحرم عليهم اكل اللحم خاصة يوم السبت تعبدا وتقربا. الرحلة، ص ٧١ (هامش).
- (٣٥) الرحلة، ص ٧١.
- (٣٦) الرحلة، ص ٧١.
- (٣٧) الرحلة، ص ٧٢.
- (٣٨) احد انبياء العهد القديم له ذكر في الكتاب المقدس ولد في المائة العاشرة قبل المسيح وعاش على عهد اخيه الملك وازابيل وقاوم العبادات الوثنية متحملا الاضطهاد واصلة من تشبة وليس طيبة ولذا سمي في المراجع الكنسية الكلداني وايليا التشيشي انستاس الكرملية مختصر ترجمة مار الياس الحبي في نشرة الاحد ١٩٢٦/٥ عدد ١٤ ص ٤٤٨ وفي الاعداد التالية ٤٧٤ و ٤٩٦.
- (٣٩) الرحلة، ص ٧٢ - ٧٣.
- (٤٠) يطلق على هذه المحلة اسم الجديدة وكانت غالبية سكانها من الافرنجة والمسيحيين. الرحلة، ص ٧٣ (هامش).
- (٤١) الرحلة، ص ٧٣.
- (٤٢) الرحلة، ص ٧٤.
- (٤٣) الاب برونو من الرهبنة الكرملية فرنسي الاصل كان دمتم الاخلاق وطيب المعشر فاحبه سكان حلب على اختلاف مللهم بحيث ان سبيستيانى اراد اصطحابه الى الهند فاجتمع سكان حلب من كاثوليك وارثوذكس ومسلمين واحتجوا على ذلك (الرحلة المجلد الاول ٣٤ - ٣٥ كذلك رباط الوثائق الخطية ٣٦/١ رحلة فرافنشو ص ٦٥ وقد بدانا بترجمتها الى العربية).
- (٤٤) الرحلة، ص ٧٥ عن هذا الفصل راجع الملحق رقم ١.
- (٤٥) الرحلة، ص ٧٥.
- (٤٦) الرحلة، ص ٧٦ انظر الملحق رقم ١٥.
- (٤٧) تاريخ البراءة البابوية التي تؤيد رسامة المطران اندراوس ٢٨/كانون الثاني سنة ١٦٥٩ راجع عناية الرحمان ص ٤٥ رباط المرجع المذكور ١/٤٥٥.
- (٤٨) الرحلة، ص ٧٥ - ٧٦.
- (٤٩) الرحلة، ص ٧٧.
- (٥٠) ألكسندر السابع (Alexander VII) عاش بين (١٣/فبراير/١٥٩٩-٢٢/مايو/١٦٦٧) وهو البابا ٢٣٧ شغل منصب بابا الفاتيكان للفترة بين (٧/أبريل/١٦٥٥ - ٢٢/مايو/١٦٦٧).
- (٥١) جرت العادة ان يقوم البابا بخدمة مائدة الفقراء او يغسل اقدامهم يوم خميس الفصح اقتداء بما فعل السيد المسيح كما جاء في انجيل يوحنا ١٣/١٧٠٤. الرحلة، ص ٧٩ (هامش).

(٥٢) الرحلة، ص ٧٩.

(٥٣) الرحلة، ص ٨١ ملخص ما كتبه سبستاني عن العراق في المجلد الثاني من رحلته الى الهند الشرقية -

الكتاب الاول ملخص الفصول الاولى.

(٥٤) الرحلة، ص ٩٣.

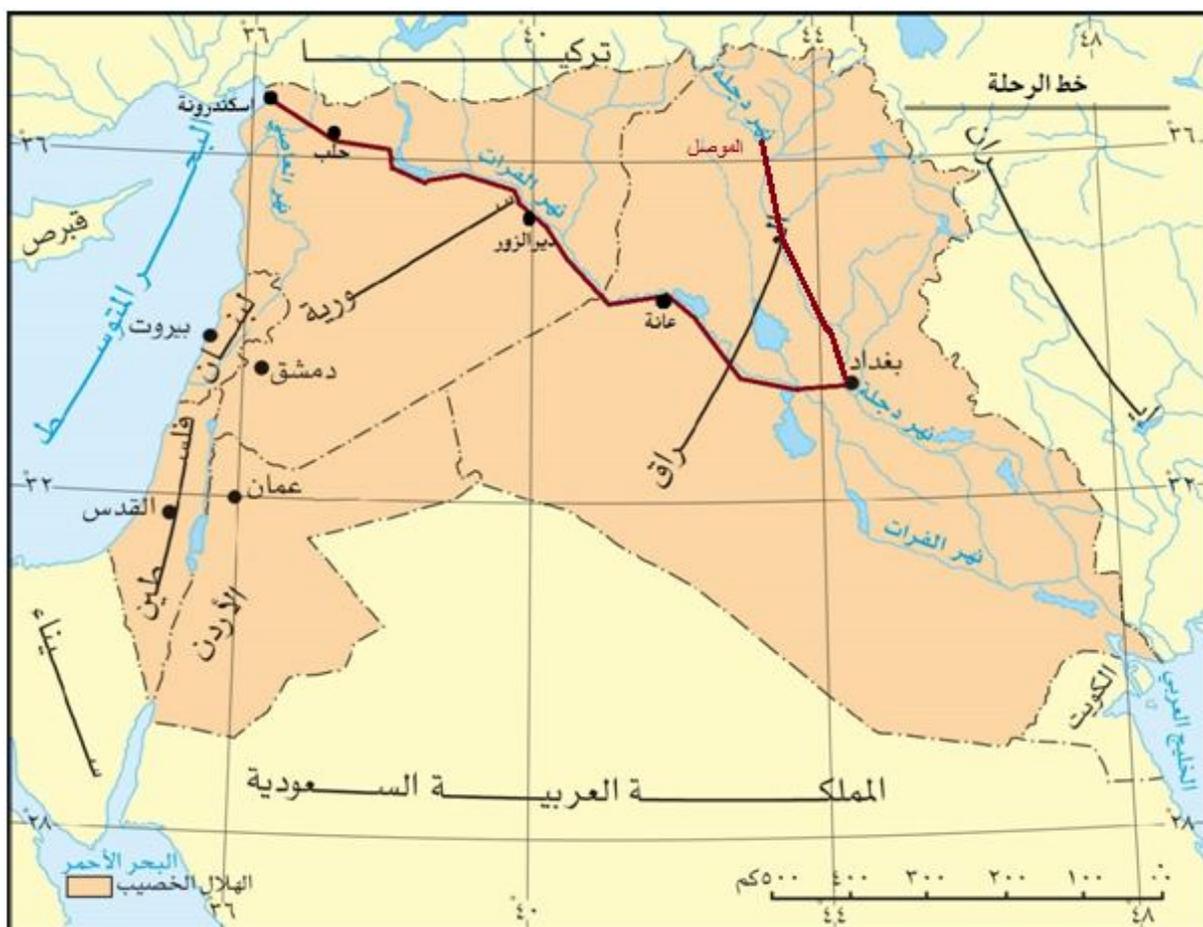
(٥٥) الرحلة، ص ١٠٨.

(٥٦) الرحلة، ص ١٠٧.

(٥٧) الرحلة، ص ٨٧.

(٥٨) الرحلة، ص ٨٧.

(٥٩) الرحلة، ص ١١١.



خارطة توضح الطريق الذي سلكه الياس برفقه الرحالة من بغداد الى الاسكندرونة